بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الخميس ٢٠ رجب ١٤٤٥ هـ / ١ شباط ٢٠٢٤م العدد ٢٤٢

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ليس للّه تعالى مع أحد قرابة

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1] [الانشراح: ٥-٦]

سُنّةٌ من السُنّن الإلهية الثابتة والقوانين الجارية في عباده، فيها وعدٌ صادقٌ من الله تبارك وتعالى مؤكّد بـ (إنّ)، وهو يتضمن بشرى لعباده بأن ما يتعرض له الإنسان من ابتلاءات ومِحن يصعب عليه تحمّلها والاستمرار بها فأن أمرها سيتيسّر ويهون ويتبدّل العسر إلى يُسر، وقد ذكر الله تعالى هذ القانون الإلهي في آيةٍ أخرى قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ويتضمن معنى اليُسر لغةً: السهولة والتوسعة والمساعدة والرخاء والرفاه، ويقابله العُسر متضمناً المشقة والضيق والصعوبة والشدة.

وقد أكدت آيةٌ أخرى أن الله تعالى لا يريدُ لعباده إلا اليُسر قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فلا عسر من قبل الله تعالى، وأن العُسر حالة طارئة غير متجذرة ناتجة من فعل العباد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٨-١٠]، أي أنه بفعله واختياره توجّه نحو العسر.

وقد تقدّمت على الآية عدّة مصاديق لليسر بعد العسر من حياة النبي (ﷺ) قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح: ١ - ٤] وفي سورة الضحى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦ - ٨] فقد ولِد النبي (ﷺ) يتيم الأب ثم تُوفيت أمه وهو رضيع فكفله جدّه عبد المطلب ولمّا تُوفي كفله عمه أبو طالب وكانت قريش تُسميه يتيم أبي طالب، فعاش اليُتم والفقر في مجتمع جاهلي غارق في الموبقات والرذائل كالشِرك بالله تعالى وعبادة الأصنام والزنا وشُرب الخمر وقَتل البنات وظلم الضعيف واستعباد الناس وغيرها فكان قلبه يتألم لهذا الواقع الفاسد ويضيق صدره وهو النقي الطاهر فكان يصعب عليه ما يراه من قومه، فمنّ الله تعالى عليه أن شَرَحَ صدره بالإيمان وعَصَمه من الذنوب وزوّجه بسيدةٍ طاهرةٍ كريمةٍ وأغناه وحماه من كيدِ الأعداء إلى أن بعثه بالنبوّة وحمّله أعظم الرسالات فكان سيدَ المرسلين وأفضلَ الخلقِ أجمعين، فيكون بيان هذه النِعم تمهيداً لذكرِ هذه السُنّة الإلهية ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وتأكيداً لها، وارتباطها بالفاء يجعلها كالتعليل لسبوغ تلك النِعم.

وقد نزلت سورة الانشراح في مكة والنبي (ﷺ) والمسلمون يُعانون من ظُلم قريش واضطهادهم وحصارهم وتجويعهم وتعذيبهم بأقسى العقوبات فكان من أغراضها تسلية النبي (ﷺ) وتخفيف معاناته وهو يحمل أعباء أثقل مسؤولية ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] ويتعرض لأبشع أنواع الأذى (ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت)(٢) وهكذا حملت السور القرآنية صوراً من العُسر والمشقة والشدة التي تعرّض لها الأنبياء السابقون كنوح وإبراهيم ويوسف وموسى وعيسى (صلوات الله عليهم أجمعين) ثم أتاهم الفرج والنصر واليسر وفي ذلك تسليه لرسول الله (ﷺ) حيث وصلت بعض معاناة الرسل إلى حد اليأس وفقدان الأمل ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وتحمل الآية الكريمة أيضاً بشارةً للمسلمين وتثبيتاً لقلوبهم بأن هذا العُسر الذي تئنون من وطأته سيبدّله الله تعالى يُسراً ويزول عنكم هذا العَنَت والمشقة وهو ما حصل بالهجرة إلى المدينة المنورة.

والدرس المستفاد من الآية الكريمة: أن على المؤمنين أن لا يضعفوا أو ييأسوا أو يشعروا بالإحباط، وأن يكون شعارهم دائماً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، فالأمل بانفراج الأزمات وزوال المعاناة موجود دائماً {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} وإن نفس هذا الأمل هو يُسر كاشف للعُسر، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (توقّع الفرج إحدى الراحتين)(٣).

وعليهم أن يشكروا الله تعالى على حسن صنيعه بهم إذ أبدل خوفهم أمناً وفقرهم يساراً وضيقهم انشراحاً وضلالهم إيماناً وجهلهم علماً وبعدهم قرباً وتفرّقهم وحدة، وهكذا.. ولا أريد الإطالة في ذكر المصاديق من حياة كل فردٍ منا وهو ما اختصره دعاء الافتتاح (فكم يا إلهي من كربةٍ قد فرّجتها وهمومٍ قد كشفتها وعثرة قد أقلتها ورحمةٍ قد نشرتها وحلقةِ بلاءٍ قد فككتها) وفي موضع آخر منه (فكم من موهبة هنيئة قد أعطاني وعظيمة مَخوفةٍ قد كفاني وبهجةٍ مونقةٍ قد أراني فأثنى عليه حامداً وأذكره مسبّحاً)(٤).

وقد كرّر الله تعالى اليُسر بعد العُسر مرتين تأكيداً، فالعُسر واحد لأنه مُعرَّف واليُسر متعدد ومطلق أي أنه مفتوح بجميع الاتجاهات، وفي ذلك أمل كبير بالله تعالى لا نفاد له، وواسع لا حدود له لكل من يمرّ بضيقٍ أو شدةٍ او مُعاناةٍ ماديةٍ أو معنويةٍ، روى في مجمع البيان خرج النبي (ﷺ) يوماً مسروراً فرحاً، وهو يضحك، ويقول: ﴿لن يغلب عسرٌ يُسرين﴾: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٥).

وعنه (ﷺ): (لو جاء العُسر فدخل هذا الجحر، لجاء اليُسر فدخل عليه فأخرجه)(٦).

ومن شعر الموعظة:

إذا ضاقت بك الدنيا
تفكَّر في ألم نشرح
تجد يسرين بعد العُسر
إن فكرتَه تنجح

وقد ذكرت الآية ﴿مَعَ الْعُسْرِ﴾ وليس بعد العُسر، وإن كانت دالة على ذلك كما فُهِمَ منها، ولعل النكتة فيها أن حالة العُسر تَستبطن معها حالة اليُسر وتكون سبباً لها لما تتضمنه من الانكسار وتقطّع الأسباب والحاجةِ إلى الله تعالى وهي من موجبات استجابة الدعاء ورفع البلاء ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢] حيث ينقطع العبد إلى ربّه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقد علمّنا الله تعالى طريقَ استجلاب اليُسر قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧] وعلّمنا وسيلة دفع العُسر والشدّة والضيق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] ولم يُذكر مورد الاستعانة على ماذا لتكون مطلقةً سواء لطلبِ الرزقِ أو العافية أو الولد أو التوفيق أو حلّ مشكلةٍ معينةٍ أو إصلاح حال خاص أو عام أو خروج من مأزقٍ وغير ذلك.

وقد دلّت الروايات الشريفة على أن العُسر والضيق كلما يشتد فإنه يكون أقرب لليُسر والفرج قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أضيق ما يكون الحرج أقرب ما يكون الفرج)(٧) وقال (عليه السلام): (عند تناهي الشدة تكون الفُرجة وعند تضايق حَلَق البلاء يكون الرخاء)(٨) وقال (عليه السلام): (ما اشتدَّ ضيق إلا قرّب الله فرج)(٩).

التتمة في الصفحة الرابعة

(١) قبس من نور القرآن ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ٣١ /١ /٢٠٢٤ الموافق ١٩ رجب ١٤٤٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣ /٢٤٧، باب النكت واللطائف، كشف الغمة:٢ /٥٣٧، بحار الانوار:٣٩/٥٥ باب ٧٣.

(٣) غرر الحكم: ٤٥٧٨. (٤) مصابيح الجنان: ٥٣٩-٥٤٠. (٥) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ١٠ - الصفحة ٢١٧. (٦) كنز العمال: ٢٩٤٧.

(٧) غرر الحكم: رقم ٣٠٣٥، بحار الانوار: ٦٨/ ٧٥. (٨) نهج البلاغة: ٢/ ٢٢٧، بحار الأنوار: ٦٨/ ٩٦. (٩) غرر الحكم:٩٥٦٦.